

التجربة "العالمية": تحليل خطاب قطاع التعليم العالي البازغ في مصر

(ملخص مشروع البحث، تموز/يوليو 2010)

الجامعة الأميركية في القاهرة

ياسمين معتز أحمد

فبراير 2015

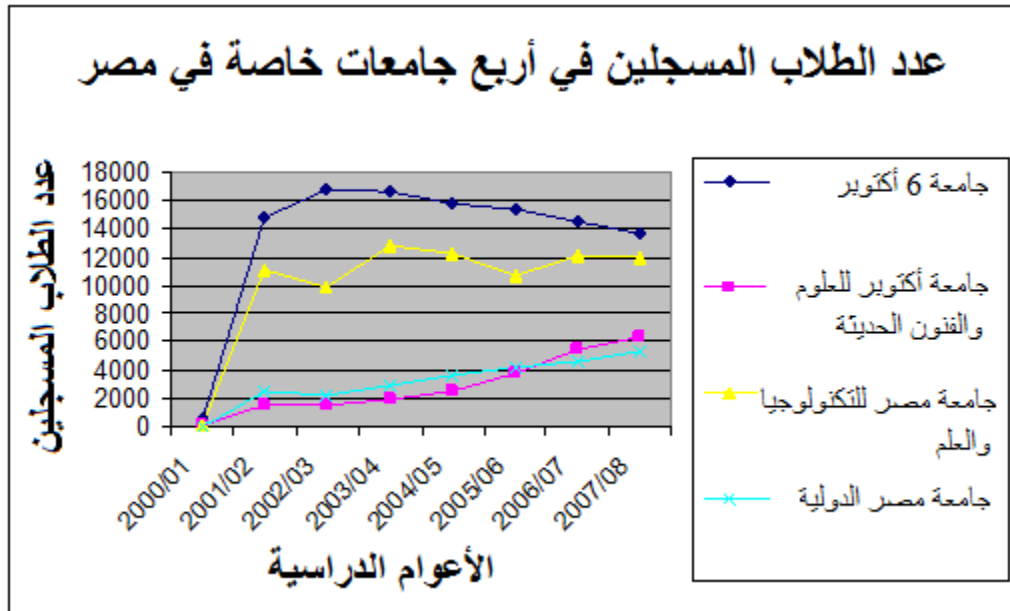
انتشرت في ضواحي القاهرة في العقد الأخير الجامعات الخاصة الدولية، وغالباً من خلال شراكة مع الكليات في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة وكندا، مما أضاف بعداً جديداً للخطاب حول التعليم الخاص في مصر. إن هذه الجامعات، التي طوّرها غالباً عمداء ورؤساء أقسام سابقون في الجامعات العامة وأو مبادئ الجامعات الدولية، تضطلع بمهام فريدة تتبع منطقاً نيوليبرالياً، وتحاول الوصول إلى المعايير "العالمية" للتعليم الجامعي. وهي تروق لمجموعة طلابية تنتمي إلى طبقة متوسطة عليا. فضلاً عن ذلك، إن تركّز مؤسسات التعليم العالي الخاصة في ضواحي القاهرة تماشى مع بزوغ مجتمع راق مسوّر، انتشر بسرعة في أطراف المدينة في الوقت نفسه (دي كونغ 2009، غنام 2014، ميتشل 2002).

يستقصي هذا البحث التيارات الحالية التي تسود في مؤسسات التعليم العالي في مصر. وبشكل مشابه لحالة الهند (سيث، 2007)، إن تاريخ التعليم الغربي الخاص في مصر يعود إلى الفترة الاستعمارية وأعمال البعثات التبشيرية (سلامة 1960). على أي حال، سيبين هذا البحث أن الجامعات الدولية الخاصة البازغة (الألمانية والفرنسية والبريطانية والكندية) هي من طبيعة مختلفة، كونها تُضفي على الطبقات المصرية العليا والمتوسطة العليا اختلافاً جديداً "له أساس عالمي"، وتُولد، على غرار جماعات القاهرة الجديدة المسورة، موضوعات مرغوبة (غنام 2014). إن هذا الاختلاف مديني ومتعلق بالضواحي في آن، وهو غربي، "تنظيف" وعلمي¹ ومجهز جيداً على المستوى التكنولوجي ومعزول عن الجماهير ومرتببط بقطاع الأعمال متعدد القوميات.

إن "التجربة العالمية" التي تنطوي عليها شهادة من هذه الجامعات تُعتبر رأسمال له قيمة (إذا استخدمنا مصطلحات بيير بورديو) في سوق العمالة المصري؛ ويُعتقد أن خريجي المدارس والجامعات الدولية يشغلون أفضل المناصب في الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات الدولية بصرف النظر عن تخصصهم وتدريبهم في فرع معين. ذلك أن التحدث بلغات أجنبية، وإظهار مهارات تقديم وحل مشكلات وتقنيات هي أرصدة جوهرية الآن لناشدي الوظيفة في القطاع الأساسي لسوق العمالة المصري الحالي. علاوة على ذلك، إن المدارس والجامعات الدولية صارت بالرغم من كونها مؤسسة حديثاً إشارات مهمة إلى الموقع الطبقي في مصر اليوم. نتيجة لهذا، وكما يكشف العمل الميداني لهذا البحث، إن الجامعات الدولية تجذب بشكل متزايد الطلاب الطامحين الذين، من ناحية أخرى، لا يستطيعون الدفع للتسجيل في الجامعة الأميركية في القاهرة أو في الجامعات في الخارج بسبب الرسوم المرتفعة، ومن ناحية أخرى لا يرغبون بالتسجيل في جامعات مصر العامة الفقيرة حيث عليهم أن ينضموا إلى "الجماهير".

وتكشف الإحصاءات ازدياداً أسياً في عدد الجامعات الدولية في القاهرة واهتماماً متزايداً بين الطلاب الذين يسجلون فيها. مثلاً، إن عدد الطلاب المسجلين في جامعة 6 أكتوبر ازداد من بضعة مئات (568 في 2001\2000 إلى بضعة آلاف في (2007\2008) في فترة ثماني سنوات دراسية. ويظهر الجدول التالي الأعداد المتزايدة للطلاب في الجامعات الخاصة:

الجدول 1. عدد الطلاب المسجلين في أربع جامعات خاصة في القاهرة، 2000-2007.



المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، الكتاب السنوي للإحصاء، 2009

يشكل الطلاب في الجامعات الخاصة 2.5% من الهيئة الطلابية الكلية في البلاد (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء 2009). مع ذلك، وكما سيبين هذا البحث، حُصّصت موارد خاصة ضخمة لخدمة هذا العدد الصغير من الطلاب، بينما تُركت الجامعات العامة تحت رحمة الدولة في سياق قطاع عام متقلص بازدياد².

موضوعات البحث وأسئلته

إن هدفي الرئيسي في هذا البحث هو فحص كيف تسهم الجامعات الخاصة البازغة في مصر في تشكيل طبقة مهنية وسطى طامحة تتصور مفهوماً وتطرح تعاليم نيوليبرالية رئيسية كما هو متضمن في خصائص الجامعات المحددة أدناه. وعلى النقيض من الجامعات العامة المتدهورة، تتقاسم الجامعات الدولية الخاصة مهمات شاملة، وتشدد على التعليم العلمي والقيادة وريادة الأعمال والرياضة وتعدد اللغات، وتركز غالباً على المنطقة. وتشدد على شرط "الجودة الأعلى للتعليم... كي تغذي وتحفز صناعات إنشاء الثروة والأنشطة التجارية في الشرق الأوسط" (الجامعة البريطانية في مصر، " نظرة إلى الجامعة البريطانية في مصر") ولتجهيز "خريجين مستجيبين للسوق وحديثي الذهنية" (جامعة الأهرام الكندية، "عن")

إن هذه الدراسة ثلاثية الأهداف. أولاً، ستدرس رؤية وبيانات مهمة لست جامعات خاصة دولية تشكل جزءاً من هذا المشهد التعليمي، وكيف تُطبق هذه المهمات من خلال أنشطة الجامعة. ثم، ستفحص إن كان الطلاب الذين يسجلون في هذه الجامعات، وكذلك أولياء أمورهم، يفهمون بعض المفاهيم الرئيسية المتضمنة في هذه المقولات، وكيف تسهم في تحديد الطلاب والخريجين لأنفسهم كمختلفين عن ما يدعونهم بـ "الجماهير" التي تدرس في الجامعات العامة. وثالثاً، ستفحص نظرياً وعملياً دور الدولة المصرية في تنظيم الجامعات الخاصة، وخاصة من

خلال القانون رقم 101 لعام 1992 ولوائحه التنفيذية من خلال المرسوم 355 لعام 1996. بالإضافة إلى ذلك، سينتبه التحليل في هذه الدراسة إلى ثلاثة مظاهر عالمية تسم أيضاً هذا المشهد البازغ: 1- المنطق النيوليبرالي المتضمن في التعريف الذاتي للجامعات (مجسداً من خلال استخدام أطر مفهومية مثل الخيار الفردي والأجساد الصحية ومنطق السوق والإنجاز والعقلانية العلمية)؛ 2- إعادة التشكيل المدنية كما هي متجلية في موقع الجامعات في محيط (أمن/انظيف) في الضواحي إزاء المراكز المدنية (المتسخة وغير الآمنة) حيث توضع الجامعات العامة تقليدياً؛ 3- بناء "موضوعات مرنة" (غنام 2014) من خلال تشكيل سيرورات عالمية ومحلية (شراكات مع المؤسسات الغربية، التشديد على خطابات الهوية

المصرية، تشكيل أجساد صحية جديدة وعقول متعلمة). ومن أجل هذه الغاية، ومستخدماً الجامعات المصرية الخاصة كدراسات للحالة، يهدف هذا البحث إلى الإسهام في النقاشات حول التشكل الطبقي في البلدان العربية التي تمر في إعادة تشكل مدينية نيوليبرالية.

المنهجية

سيستند هذا البحث إلى تحليل خطابات مادة ترويج ومواقع إنترنت خمس جامعات دولية في القاهرة الكبرى وعلى مقابلات معمقة مع أعضاء الهيئة التدريسية وأولياء الأمور والطلاب الذين هم فاعلون رئيسيون في مشهد التعليم العالي الدولي في مصر. إن الجامعات التي اختيرت كنماذج للدراسة هي: الجامعة البريطانية في مصر، جامعة الأهرام الكندية، جامعة المستقبل في مصر، جامعة العلوم والفنون الحديثة، وجامعة مصر الدولية.

إن تضمين منظورات مدرّسي ومديري الجامعة، الذين يلعبون دوراً فعالاً في تطبيق مهمات المؤسسة، سيمكّنني من كشف الفجوات بين ما يؤمن به الطلاب وطاقم المدرسين ويطبقونه وما كان وما هو متصوّر من قبل مؤسسي الجامعة. وفي سياق أوسع، أمل أن أكتشف الطرق التي تساهم بها الجامعات الخاصة الدولية في بزوغ موضوعات وأشكال جديدة من الفروق الطبقيّة المدينية على الصعيد الفردي. ولهذا صلة الآن بشكل خاص أثناء هذا الوقت الذي يشهد تدهوراً للتعليم الجامعي العام ومن المحتمل أن يسهم في كمية الأدبيات التي تعالج تأثيرات النيوليبرالية في التعليم. (مثلاً أبل 2004) وفي تشكل طبقة جديدة مدينية من سكان الضواحي في مصر (دي كونغ 2009؛ غنام 2014؛ سنغريمان وعمار 2006). وبينما ستتم هذه الدراسة بشكل رئيسي في القاهرة الكبرى، سيكون لها أهمية أكبر في تعميق الفهم حول العدد المتنامي من "فروع الجامعات" في العالم العربي.

هوامش

- 1- تركّز معظم الجامعات الجديدة الخاصة على متخصصين في العلوم وتكنولوجيا المعلومات ودراسات الإعلام؛ ويقدم القليل جداً منها تخصصات في علم الاقتصاد والعلوم السياسية.
- 2- تناقص الإنفاق العام على التعليم كنسبة مئوية من الإنفاق العام 4% من 2001\2000 إلى 2007\2008، بينما ازداد الإنفاق العام على التعليم بالنسبة للنتائج المحلي الإجمالي 1% تقريباً (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء).

Bibliography

- al-Ahram Canadian University in Egypt. N.d. "About." *al-Ahram Canadian University*. Accessed February 15, 2015. http://www.acu.edu.eg/index.php?option=com_innerContent&id=11&Itemid=3&language=en.
- Amin, Galal. 2000. *Whatever Happened to the Egyptians? Changes in Egyptian Society from the 1950 to the Present*. Cairo: The American University in Cairo Press.
- Apple, Michael. 1995. *Education and Power* (2nd ed.). New York: Routledge.
- . 1996. *Cultural Politics and Education*. New York: Teachers College Press.
- . 1999. *Power, Meaning, and Identity*. New York: Peter Lang.
- . 2004. "Creating Difference: Neo-Liberalism, Neo-Conservatism and the Politics of Educational Reform." *Educational Policy* 18, no. 1: 12-44.
- Arab Republic of Egypt, Central Agency for Public Mobilization & Statistics (CAPMAS). 2009. *Statistical Yearbook*. Cairo: CAPMAS.
- Bourdieu, Pierre. 1984. *Distinction: A Social Critique of the Judgment of Taste*. Cambridge: Cambridge Studies in Social Anthropology.
- British University in Egypt (BUE). N.d. "BUE at a Glance." *British University in Egypt: About BUE*. Accessed February 15, 2015. <http://www.bue.edu.eg/index.php/bue-at-a-glance>.
- De Koning, Anouk. 2009. *Global Dreams: Space, Class, and Gender in Middle-Class Cairo*. Cairo: The American University in Cairo Press.
- Denis, Eric. 2010. "Cairo as Neo-Liberal Capital: From Walled Cities to Gated Communities." In *Cairo Cosmopolitan: Politics, Culture, and Urban Space in the New Globalized Middle East*, edited by Diane Singerman and Paul Amar, 47-72. Cairo: American University in Cairo Press.
- Fawaz, Mona. 2009. "Neoliberal Urbanity and the Right to the City: A View from Beirut's Periphery." *Development and Change* 40, no. 5: 827-852.
- Ghannam, Farha. 2014. "The Promise of the Wall: Reflections on Desire and Gated Communities in Cairo." *Jadaliyya*, Jan. 3. Accessed February 10, 2015. http://www.jadaliyya.com/pages/index/15864/the-promise-of-the-wall_reflections-on-desire-and-#_ed.
- Herrera, Linda, and Carlos Torres. 2006. *Cultures of Arab Schooling: Critical Ethnographies from Egypt*. New York: State University of New York Press.
- Husayn, Taha. 1938. *Mustaqbal al-thaqafah fi Misr*. Cairo: al-Mama'aref Press.

Mitchell, Timothy. 2002. *Rule of Experts: Egypt, Techno-Politics, Modernity*. Berkeley, CA: University of California Press.

Salama, Guirguis. 1960. "Tareekh al-Ta'leem al-Ajnabi fi Misr." MA thesis, Cairo University.

Seth, Sanjay. 2007. *Subject Lessons: The Western Education of Colonial India*. Durham, NC: Duke University Press.

Singerman, Diana, and Paul Ammar. 2006. *Cairo Cosmopolitan: Politics, Culture, and Urban Space in the New Middle East*. Cairo: The American University in Cairo Press.